

الحرف والصناعات في أسواق قسنطينة من خلال مخطوط دفتر أحباسها (القرن 10-11هـ / 16-17م) خولة نواري

أستاذة مساعدة مؤقتة بجامعة المسيلة

البريد الإلكتروني: khaoulanouari@yahoo.fr

تاريخ النشر:

تاريخ القبول:

تاريخ الإيداع:

2019-06-01

2019-01-15

2018-12-26

الملخص

نعد الأسواق من المنشآت التجارية التي سمحت للإنسان بالقيام بنشاطه المرتبط بحياته اليومية، كممارسته للتجارة، أو لحرفة أو لصناعة معينة، ومدينة قسنطينة كغيرها من المدن الإسلامية تحتوي على مجموعة من الأسواق العامة التي تعرض فيها مختلف أنواع السلع والمنتجات سواء كانت محلية أو عن طريق التبادل التجاري، إضافة لهذه الأسواق توجد بالمدينة أسواق أخرى حرفية متخصصة في حرفة معينة، تتوزع هذه الأسواق بشكل منظم ووفق معايير وأسس منها دينية كتطبيق مبدأ لا ضرر ولا ضرار، ومبدأ آخر يتمثل في التصنيف أو التخصص والذي يقتضي تصنيف السوق حسب نوع ونشاط الحرفة أو الصناعة، ومن خلال تتبعنا لنص مخطوط دفتر الأحباس استطعنا استخلاص قائمة للأسواق بمدينة قسنطينة بنوعيتها، بحيث كانت تُحسب حوانيتها على الضعفاء والمساجين وعلى المساجد وطلبة العلم.

الكلمات المفتاحية: مخطوط دفتر الأحباس، قسنطينة، حرفة، صناعة، الأسواق العامة، الأسواق المتخصصة.

Crafts and industries in the markets of Constantine through the manuscript book *Al-Ahbbas* (10-11 / 16-17m)

Summary

The city of Constantine, like other Islamic cities, contains a range of public markets where the various types of goods and products are exposed, whether local or foreign. Or by trade. In addition to these markets, the city has other specialized markets in a specific trade. These markets are distributed on a regular basis according to standards and principles, including religious ones, such as applying the principle of *No harm or damage*. Another principle is classification or specialization which requires classification of the market by type and activity Craft or Workmanship, and through the text of the manuscript we followed *Al-Ahbbas* book we were able to draw a list of markets in both types of Constantine, so that they imprison its shops on the vulnerable prisoners and the mosques and science students.

key words: Manuscript of *Al-Ahbbas* book ; Constantine, craft ; industry ; public markets ; specialized markets.

مقدمة

يحتوي مخطوط دفتر الأحباس الخاص بمدينة قسنطينة المحفوظ بالمكتبة الوطنية الجزائرية، على معلومات جد قيمة حول تاريخ مدينة قسنطينة وخاصة منها موضوع الأسواق والحرف والصناعات، وذلك في الفترة الممتدة ما بين القرنين العاشر والحادي عشر هجري (10-11هـ/16-17م)، ويتضح ذلك من خلال المعطيات التي يقدمها المخطوط كونه يحتوي على أسماء جديدة لأسواق وطوائف حرفية بالإضافة لأسماء حرفيين لم يسبق لهم ذكر في المصادر والمراجع الأخرى التي تناولت الجانب الاقتصادي للمدينة في هذه الفترة المدروسة، وانطلاقاً مما سبق تهدف هذه الدراسة لإحصاء وجرد جميع الحرف والصناعات التي تتوزع ضمن هذه الأسواق الموجودة في مدينة قسنطينة سواء منها الأسواق العامة أو المتخصصة التي جاء ذكرها في مخطوط دفتر الأحباس، وكذلك للإجابة على بعض التساؤلات المطروحة وهي كالتالي: فيما تمثلت هذه الحرف والصناعات وأين تركزت؟ وما هي معايير وأسس توزيعها في المدينة؟

أولاً - تقديم المخطوط:

يعد مخطوط دفتر الأحباس الذي يعود للقرن (10-11هـ/16-17م) من المصادر المهمة وإضافة جديدة في تاريخ مدينة قسنطينة، وقد قام الأستاذ عبد القادر دحدوح بتحقيقه ونشره، ثم طبع تحت وصاية وزارة الشؤون الدينية والأوقاف في إطار قسنطينة عاصمة الثقافة العربية سنة (2015) بعنوان مخطوط دفتر أوقاف مدينة قسنطينة. وفيما يلي بطاقة فنية للمخطوط:

بطاقة فنية للمخطوط

عنوان المخطوط	دفتر الأحباس.
مقاس المخطوط	17 x 45 سم.
عدد اللوحات	36 لوحة.
حالة الحفظ	المخطوط في حالة جيدة، ماعدا الورقة الأولى التي تخلو من الكتابة، كذلك وجه الورقة الثانية الكتابة بها غير مقروءة، إضافة إلى أنها فقدت جزءا منها، كما هو الحال في الورقة السادسة التي ضاع جزء منها إلا أن خطها مقروء، ونجد أن ظهر الورقة رقم 11 ووجه الورقة رقم 12 يخلو كلياً من الكتابة، أما الورقة الأخيرة فقد تأكلت أطرافها.
مكان الحفظ	المخطوط محفوظ بالمكتبة الوطنية الجزائرية برقم 3568 وتحديدا في مصلحة المخطوطات.
مؤلف المخطوط	المخطوط عبارة عن نسخة من النسخة الأصلية أو المتمثلة في دفتر الأحباس لمدينة قسنطينة، نسبت فيه الكتابة عبر فترات زمنية متباعدة وبحضور شهود عدول إلى ثلاث كتاب هم: حسن بن جمعة المرواني، الفقيه أبي زكريا يحيى الفكون بن الشيخ أبي عبد الله محمد الفكون، وعبد الله محمد بن يحيى بن باديس.
ناسخ المخطوط	من خلال التوقيعات التي ضمها المخطوط تبين لنا أسماء للأشخاص الذين قاموا بنسخ المخطوط وهم: محمد بن أبي عبد الله بن نعمون الذي ترجع له أغلبية التوقيعات، عبد الرحمن بن باديس في بعض الأوراق، وأحمد بن سعيد في ورقة واحدة.
نوع الخط	كتب المخطوط بخط النسخ المغربي.
تاريخ ومحتوى المخطوط	يرجع تاريخ نسخ المخطوط إلى سنة (1024هـ/1615م) وهناك بعض النصوص أضيفت حتى سنة (1057هـ/1647م). أما فيما يخص محتوى المخطوط فهو يحتوي على نصوص لأوقاف وأحباس مدينة قسنطينة في الفترة الممتدة ما بين سنة (669هـ/1271م-1057هـ/1647م)، وتنظم هذه الوقفيات: 1- أوقاف الضعفاء. 2- بيان الأرض الموقوفة على الجامعيين. 3- بيان أوقاف الضعفاء بمدينة قسنطينة المحروسة. 4- الربع الموقوف على المجاورين بمكة المشرفة وعلى الربع الموقوف على المقامات والسبائل. 5- أوقاف خبز شهر رمضان على الضعفاء بقسنطينة. 6- أوقاف طلبة العلم بقسنطينة. 7- أوقاف خبز المساجين بقسنطينة. 8- الربع الموقوف على الجامعيين من دور وحوانيت. 9- أوقاف مساجد والزوايا بمدينة قسنطينة. 10- أوقاف المدارس بمدينة قسنطينة ¹ .

ثانيا - التعريف اللغوي والاصطلاحي للحرفة والصناعة

1. التعريف اللغوي والاصطلاحي للحرفة:

أ. الحرفة لغة:

ورد مصطلح الحرفة بالكسر، ويقال حرف لأهله يحرف: كسب وطلب واحتال، أي يكسب منها هنا وهاهنا مثل يغرف المحترف: الصانع² وعرف الفيروزآبادي الحرفة بالكسرة كذلك فيقول: "الحرفة بالطُعْمَة"، وقال "الحرفة الصناعة يرتزق منها"³ ونفس الشيء عند ابن منظور فيقول في الحرفة بأنها "وَجْهَةُ الكَسْب، وحرفة الرجل: ضيعته أو صنعته والحرفة صناعة"⁴.

ب. الحرفة اصطلاحا:

الحرفة صناعة، والصناعة كل ما اشتغل به الإنسان وسمي صناعة وحرفة لأنه يميل وينحرف إليه، وقد اختلفت مصطلحات الحرفة، باختلاف الأقاليم والبلدان، فظهر بمصطلح "حرفة" عند الجبرتي في ذكره محاولة أحد القضاة فصل الحرفيين عن الأوجاق⁵ عام (1119هـ / 1708م) حيث جاء ما نصه "...أرسل القاضي فأحضر مشايخ الحرف..."⁶ فكان هذا المصطلح هو الغالب والأكثر تداولاً في تلك الفترة وظهر بمصطلح الصناعة في المشرق وكان متداولاً في القاهرة، بينما ظهر ببلاد المغرب وفي الجزائر تحديداً بمصطلح الجماعة، ويكاد يكون المصطلح الوحيد المتداول سواء على التنظيمات الحرفية أو التنظيمات البرانية أو تنظيمات أخرى، حيث نجد جماعة بني مزاب، وجماعة الجبلية، وجماعة البنائين وجماعة الخراطين وغيرهم، فالجماعة ببلاد المغرب ليست إطار عمل فحسب، بل توسع المعنى أكثر ليشمل مختلف أطر الحياة الاجتماعية بجميع أجهزة الالتحام والاندماج الضروريين.⁷

2. التعريف اللغوي والاصطلاحي لصناعة:

أ. الصناعة لغة:

الصناعة كما جاءت في لسان العرب صنعه يصنعه صنْعاً، فهو مصنوع وصنيع: عمله.

والصناعة: ما ستصنع من أمر، ورجل صنع اليد وصانع اليد.⁸ ويعرفها الفيروزآبادي بقوله: "الصناعة حرفة الصانع"،⁹ وعمله الصنعة كما ورد تعريف لمصطلح الصناعة في كتاب الدلالات السمعية فجاء فيه الصانع: "عامل الشيء، والصناعة حرفته، وجمع صانع: صناع ورجل صنيع اليدين وصنع اليدين أيضا- بكسر الصاد- أي صانع حاذق، كذلك صنع اليدين بالتحريك وامرأة صناع اليدين أي حاذقة ماهرة بعمل اليدين".¹⁰

ب. الصناعة اصطلاحاً:

الصناعة كل علم مارسه الإنسان حتى صار كالحرفة له يسمى صناعة، وقيل: "الصناعة اسم للعلم الحاصل من التمرن على العمل، أو هو ملكة يقتدر بها على استعمال موضوعات ما لنحو غرض من الأغراض"،¹¹ غير أن الفقهاء خصّوا الصناعة بالحرف التي تستعمل فيها الآلة، أي الصناعة ما كانت بآلة والحرفة أعمّ منها،¹² ولما كان استعمال الآلة يحتاج إلى دربة ومران، كانت المزاوله والدرية من لوازم الصناعة، وعليه قيل: "كل عمل لا يسمى صناعة حتى يتدرب عليه ويتمكن منه وينسب إليه، وقيل الصناعات ضربان: علمي، وعملي".¹³ فالصناعة إجادة الفعل، وكل صنع فعل وليس كل فعل صنع، وهي أعمال تحويلية مركبة ودقيقة، لا تكون إلا حيث يبلغ الإنسان مبلغاً طيباً من التحضر.¹⁴

3. الفرق بين الحرفة والصناعة:

يُعرف ابن خلدون الصناعة بقوله: "... إعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عملي فكري وبكونه عملياً هو جسماني محسوس، والأحوال الجسمانية المحسوسة فنقلها بالمباشرة أو عبء لها وأكمل لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة، والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسخ صورته..."¹⁵ في حين يقول القاسمي حول موضوع الفرق بين الحرفة والصناعة، بأن "الصناعة ما حصلت بالممارسة والتمرن" أي كل ما اشتغل به الإنسان ومارسه وزاوله حتى صار ملكة فيه، "فالصناعة هي العمل المتعلق بكيفية العمل والملكة هي الكيفية الراسخة في الذهن"، فهي بذلك أخص من الحرفة التي لا تحتاج

إليهما الصنع الفنان، وقيل أن الصناعة ما كانت بالأعمال اليدوية حتى قيل فلان صناع اليدين، بخلاف الحرفة فإنها تكون بدون ذلك،¹⁶ انطلاقاً مما ورد في مختلف المصادر والمعاجم اللغوية، يمكن أن نميز مصطلح الصناعة في الممارسة والمزاولة والتمرن على العمل، أما الحرفة فهي أعم وأشمل من ذلك، فكل صناعة حرفة لكن ليست كل حرفة صناعة.

ثالثاً - الأنشطة الحرفية والصناعية بمدينة قسنطينة

عرفت مدينة قسنطينة نشاطات حرفية وصناعية متنوعة، منها الإنتاجية، والخدماتية والمقصود بالصناعات الإنتاجية هنا، هي الصناعات التي تعطينا منتج يمكن استغلاله محلياً أو تصديره، مثل صناعة الجلود، والنسيج، والخشب، والصناعة المعدنية، أما الخدماتية فهي غير منتجة وتتميز بالبساطة ومثال ذلك الدالين، والقهوجيين، والسقائين، والحمالين، والغرابليين، وقد مكنت هذه النشاطات الحرفية والصناعية من جعل مدينة قسنطينة تحقق اكتفاءً ذاتياً، لتصنف كثاني مدينة صناعية من حيث النشاط التجاري والصناعي في إيالة¹⁷ الجزائر، وكان لفترة صالح باي¹⁸ يد في ذلك، كونه عمل على تنظيم الأسواق والطوائف الحرفية، التي ساعدت على ازدهار البايك¹⁹ علاوة على الخدمات التي قدمها للمدينة والتي تصب في صالحها، وشجع عمل الصنائع والحرف والتبادل التجاري.²⁰ ولعل من أهم النشاطات السائدة في الفترة المدروسة حسب ما جاء في العقود والوثائق الأرشيفية، أن الدباغة كانت تحتل المركز الأول من حيث الصناعة والتبادل التجاري وهذا راجع لتوفر المادة الأولية كون المنطقة اهتمت بتربية المواشي، تليها الصياغة أو صناعة الحلي للمرأة القسنطينية لما لها من قيمة جمالية واقتصادية ينتج عنها فوائد وأرباح كثيرة، كانت هذه الحرفة من اختصاص اليهود، بالإضافة إلى الحلي، هناك الصناعة النسيجية بتنوع منتجاتها، منها البرانس والألبسة النسائية المطرزة بالذهب والفضة.²¹ إلى جانب صناعة السروج التي تعتبر من أشرف المهن كونها مرتبطة بالفرسية،²² عرفت مدينة قسنطينة التنوع في الصناعة الغذائية منها الخبز حيث بلغ عدد الأفران أو الكوشات ثمانى عشرة كوشة (18) مما يدل على أهمية هذه المادة وكثرة استهلاكها، بالإضافة إلى طحن الدقيق في

مطاحن المدينة والتي بلغ عددها هي الأخرى حوالي سبع عشرة رحي (27) تنتج خمسمائة وأربعا وثلاثين كيسا (534) من القمح بالمعدل اليومي.²³ اختصت العائلات الحضرية القسنطينية بصناعة وتجفيف الفواكه وصناعة المربي، وتقطير الورد للاحتفاظ به طوال العام.

ومن الصناعات التي اشتهرت بها مدينة قسنطينة حرفة النجارة بفروعها واختصاصاتها، حيث كانت تتم صناعة الأثاث المنزلي، بالإضافة إلى المنتجات الخشبية الأخرى اللازمة.

دون أن ننسى ذكر الصناعات الأخرى المعروفة بقسنطينة في الفترة المدروسة كالصناعة الحديدية والصناعة النحاسية، لما تدره من فائدة مما تنتجه من أدوات ذات الاستعمال اليومي كأواني المطبخ والعتاد الفلاحي.

مارس الحرفي القسنطيني هذه النشاطات في فضاءات خاصة، تمثلت في الدكاكين أو الورشات الحرفية هذه الأخيرة توزعت في مدينة قسنطينة ضمن الأحياء الرئيسية والفرعية مشكلة بذلك سوقا صناعيا إنتاجيا وسوقا خاصا بالتبادل التجاري، إلى جانب الورشات الحرفية كان السوق يضم مرافق أخرى تتمثل في التربيعات²⁴ والفنادق والرحبات، وجميع هذه الفضاءات تدخل ضمن نطاق النشاط الحرفي والصناعي.

وأهم ما يميز هذه الفضاءات الصناعية هو تنظيمها وطريقة توزيعها في أرجاء المدينة، حيث كانت تخضع لأسس ونظم وقواعد محكمة عادت بالفائدة على المجتمع من خلال حفظ حقوق الحرفيين والصناع وعلى المدينة بالرقى والازدهار الاقتصادي.

رابعا - طبوغرافية النشاطات الحرفية والصناعية في مدينة قسنطينة

1. معايير توزيع الأسواق بمدينة قسنطينة:

يعتبر إنشاء السوق بالمدينة من أهم المعايير المميزة لها عن غيرها من التجمعات السكنية، وقد ورد السوق في أحد شروط ابن الربيع حول العمران حيث قال "يقدر أسواقها لينال حوائجهم عن قرب".²⁵ وعرفت مدينة قسنطينة كغيرها من المدن الإسلامية بأسواقها ومتاجرها، وفي ذلك يقول البكري: "... بها أسواق جامعة ومتاجر

رابحة،²⁶ مما يوحي بأن المدينة كانت عامرة وكثيرة الأسواق ومنظمة حسب الصنائع والحرف، ونجد أن حسن الوزان يدعم هذا القول بقوله: "... وأسواق المدينة عديدة، حسنة التنسيق، وأن جميع الحرف فيها مفصول بعضها عن بعض... وفيها عدد كبير من التجار"،²⁷ فمدينة قسنطينة عرفت بأسواقها ومتاجرها قبل الوجود العثماني واستمرت وازدهرت أثناء هذه الفترة كذلك، حيث أن أسواقها امتدت على طول الشارع الرابط بين باب الواد وباب القنطرة، إضافة إلى السوق الكبير وسوق الخلق وسوق التجار وما يحتويه من أسواق متخصصة وأخرى ثانوية، وكان لتخطيط هذه الأسواق توزيع محكم مبني على معايير وأسس عمرانية وعلى مقاصد الشريعة الإسلامية، وفق مبدأ لا ضرر ولا ضرار.

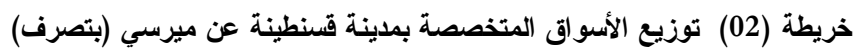
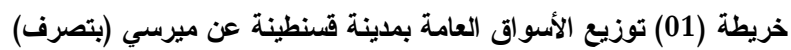
ويعتبر تطبيق هذا المبدأ من أهم المعايير التي حث عليها الدين الإسلامي، كونها تخدم مصلحة المسلمين وتجعلهم يصلون إلى المادة المبحوث عنها بسهولة ويسر. فهناك بعض الصناعات التي تزعج وتلحق الضرر بالناس فالواجب أن تكون بعيدة عن عمران المدينة، كالدباغين الذين يستعملون المياه الساخنة لغسل الجلود، وتنتج عن هذه العملية روائح كريهة والحدادين، والفخارين، وما ينتج عن صناعاتهم من أدخنة نتيجة استعمالهم لوقود النار من شأنها أن تزعج الناس وتضر بهم.

ونتيجة التطور الذي عرفه النشاط التجاري مع مرور الوقت، أصبح هناك تنوع في الأسواق وفي المنشآت التجارية أدى ذلك إلى ارتباطها بالتجارة، كما أدى إلى ظهور نمط التصنيف أو التخصص والاختصاص في الحرف والصناعات.²⁸ وعليه نجد أن مدينة قسنطينة قد طبق فيها هذا النمط الشائع، الذي يقتضي تصنيف الأسواق حسب الحرفة أو السلعة، ومثال ذلك موقع سوق العطارين الذي يبعد عن بقية الأسواق، أما سوق الخضارين والجزارين فقد كانا إلى جانب واحد وكذلك سوق البرادعيين والغرابليين مع بعضهما البعض، كذلك هو الحال بالنسبة سوق النجارين والخراطين، وسوق القزازين والصاغة كل على حده وجنب إلى جنب، أما تجار الجواهر والذهب والفضة والسيارفة وتجار البضائع الغالية الثمن، كالمصوغات

والصاغة والحريير والتحف، فكانوا يجتمعون في شارع مخصص لهم يسمى القيسارية.²⁹

كان لبعض السلع والمواد الأكثر استهلاكاً لدى الناس ضرورة بإقامتها بالقرب منهم لتفي بحاجتهم ولتوفر عليهم عناء التنقل مما ساهم بإنشاء مراكز تزودهم بهذه السلع كأفران الخبز التي كانت تتوزع على الشوارع وأطراف المدينة،³⁰ نذكر منها كوشة رحبة الجمال وأخرى برحبة الصوف، وكوشة أسفل زقاق البلاط، وهناك فرن للمراكشي بسوقة بن ثعلب.

إن تنظيم الأسواق وتوزيعها يتمشى مع تخطيط الشوارع في المدن الإسلامية، وكان للأسواق أن تتوزع في الشوارع الرئيسية للمدينة كما هو الحال في مدينة قسنطينة بحيث تتوزع أسواقها على طول الشارع الرئيسي بين باب الواد وباب القنطرة، وكان الغرض من ذلك تطبيقاً لقيم وأحكام الشريعة التي تقتضي إعطاء الطريق حقه وتسهيل حركة مرور الأشخاص والحمولات والدواب دون إعاقة سيرها خاصة منها الشوارع التي وزعت في جوانبها الحوانيت والأسواق، فهذا التنظيم إضافة إلى كونه يبعد الضرر عن الناس يساهم كذلك في تسهيل حركة المرور في الشوارع وبذلك يخدم الطرفين، فهو يبعد الضرر ويحفظ حقوق الناس وحقوق لشوارع التي هي ملك لعامة الناس.



2. أسواق مدينة قسنطينة من خلال المخطوط دفتر الأحباس

يحتوي مخطوط دفتر الأحباس بمدينة قسنطينة على أسماء للعديد من الأسواق والحرف والصناعات يمكن تصنيفها إلى نوعين من الأسواق، أسواق عامة تعرض فيها مختلف السلع ولا يمارس فيها أي حرفة أو صناعة، وأسواق أخرى خاصة أو متخصصة تميزت بمزاوالتها وارتباط اسمها بحرفة أو صناعة معينة، وفيما يلي قائمة 17 سوقا من الأسواق العامة التي جاء ذكرها في المخطوط.

1.2. الأسواق العامة:

قائمة للأسواق العامة بمدينة قسنطينة حسب ما جاء في المخطوط

اسم السوق	مكان وجوده في المدينة
سوق التجار/ الرهانية/ الرهانة	يقع سوق التجار في قلب المدينة، وهو من الأسواق المفتوحة، حيث يتشكل من عدد كبير من الحوانيت، التي تفتح في الشارع الرئيسي الذي يربط بين باب الواد وباب القنطرة، إضافة إلى الشوارع الثانوية التي تتفرع عنه، وهو يضم العديد من الحرفيين الذين تتشكل منهم مجموعة من الأسواق المتخصصة، مثل سوق السراجين الذي يقع في الناحية الشمالية من مسجد سيدي عبد الرحمن القروي، وجنوب دار الباي، يليه سوق الصباغيين، وفيما بينهما يوجد سوق الغرابليين وسوق البرادعيين والخضاريين والجزاريين والقصاعين والخراشفيين، والنجارين، وفي الناحية الجنوبية من هذا السوق يوجد سوق الرقاقين، كما توجد أسواق أخرى غير متخصصة في محيط هذا السوق كسوق الخلق والسوق الكبير.
سوق الغزل	ينفتح سوق الغزل على الشارع الرئيسي الرابط بين باب الواد وسوق العصر وسوق الجمعة، وهو يقع بين حي الطابية وحي ميلة الصغيرة، والحي التجاري الذي يربطه به طريقان ثانويان، يوجد بأحدهما سوق الصاغة والثاني سوق الشبارليين.
بسويقة بن ثعلب	تعرف الآن بسويقة باب الجابية ³¹ ، تحتل هذه السويقة موقعا استراتيجيا، فهي تسير شطرا مهما من الشارع الرئيسي للمدينة الذي يربط بين باب الجابية وباب القنطرة، وهي تتوسط الحي الذي يعرف بحي باب الجابية، وعليها تتفتح عدة طرق وشوارع ثانوية، من أهمها زنقة بن كازلي وزنقة الدرداف وزنقة سيدي عفان وزنقة العمامرة، أما من الناحية الشمالية الغربية فهي ترتبط برحبة الجمال وسوق التجار.
سوق الموقف	يقع هذا السوق بالقرب من باب الواد عند مفترق الشارعين الرئيسيين اللذان ينطلقان من هذا الباب باتجاه باب القنطرة وسوق العصر، كما أنه يقع بالمقربة من دار الباي التي تتم فيها إدارة شؤون الحكم والبايلك، كما تتفتح به عدة أزقة التي تربطه برحبة الجمال وحي الطابية.
السوق الكبير	يقع بجوار الجامع الأخضر، في موضع يتوسط بين سوق التجار جنوبا ورحبة الصوف شرقا وحي ميلة الصغير شمالا، وسوق الخلق غربا.

اسم السوق	مكان وجوده في المدينة
سوق الخلق	يقع ضمن نطاق سوق التجار، وهو بذلك يتوسط سوق الغزل وسوق التجار، وهو على نفس الشارع الذي يوجد به السوق الكبير المؤدي إلى رحبة الصوف.
سوق رحبة الصوف	سمي بذلك نسبة إلى الرحبة التي يقع بها وهي رحبة الصوف، الواقعة في الجهة الشرقية للمدينة، وهي تتوسط حي الشارع الخاص باليهود وحي التجار، ويمر عبرها الشارع الرئيسي الرابط بين باب الوادي وباب القنطرة، وإليها تؤدي طرق وأزقة ثانوية تربطها بباقي الشوارع الرئيسية، كما يوجد بها أحد الجوامع الرئيسية الذي سمي باسمها وهو جامع رحبة الصوف.
سوق باب القنطرة	نسبة إلى باب القنطرة، الواقع بالجهة الشمالية الشرقية من المدينة، وأمامه إلى داخل المدينة كانت تتقدمه رحبة تقع على بعد ألف خطوة عن باب القنطرة، حيث يبلغ قطرها ستون قدما، وتوجد على يمينها وفوقها صخرة عالية، ومنها ممر للشوارع والأزقة التي تربط باب القنطرة بمختلف أحياء المدينة وأبوابها ³² ، كالقصبية وباب الجابية وباب الوادي، سوق الجمعة وسوق العصر وسوق التجار وغيرها.
سوق زقاق البلاط	سمي بهذه التسمية نسبة إلى الشارع الذي يفتح عليه وهو زقاق البلاط، ويقع في نفس الشارع الذي يقع فيه سوق الغزل، وهو الشارع الذي يربط بين باب الجديد وباب الواد من الجهة الجنوبية الغربية إلى سوق العصر وسوق الجمعة من الجهة الشمالية، وهو يلي مباشرة سوق الغزل.
سوق باب الواد	عرف بسوق البلد كونه يقع في موضع الرحبة التي تسمى رحبة البلد وقد ورد ذلك في كتاب منشور الهداية ³³ . وكانت الرحبة تقع بالقرب من باب الوادي، وإلى الأمام نجد باب الجديد، كما تؤدي إلى الطريق الذي يوصل إلى رحبة الجمال، وبذلك فهي واقعة بين الشارع الذي يربط باب الوادي وباب الجديد. ³⁴
سوق البركة	يقع في زقاق الميليين.
سوق بني عاتي محمد	/
سوق غدير أبي الغارات	/
سوق باب القصبية	يقع غرب مسجد مفرج.
سوق هواره	كان في القديم يعرف بسوق القصاعين.
سوق الشهود	/
سوق الحناية	/

2.2. الأسواق الحرفية المتخصصة:

كانت الأسواق الخاصة بالحرف والصناعات بمدينة قسنطينة تتوزع على الشارع الرئيسي الرابط بين باب الواد وباب القنطرة، ووردت أسماء لهذه الأسواق وأماكن تمركزها في دفتر الأحباس، ومن خلال بحثنا وتتبعنا لنص المخطوط وجدنا 38 سوق حرفية متخصصة، وفيما يلي قائمة إحصائية لكل الأسواق الحرفية بمدينة قسنطينة التي ذكرت في مخطوط دفتر الأحباس:

"قائمة للأسواق الحرفية المتخصصة بمدينة قسنطينة حسب ما جاء في المخطوط"

اسم السوق	مكان وجوده في المدينة
سوق العطارين	تقع هذه السوق عند بداية الشارع بالقرب من باب الوادي شمال رحبة الصوف.
سوق السراجين	يأتي بعد سوق العطارين على نفس الشارع، وهو يبدأ من مفترق الطرق حيث يوجد مسجد سيدي الفوال بالناحية الشمالية للشارع، ومسجد سيدي عبد الرحمن القروي بالناحية الجنوبية، وفي شماله توجد دار الباي، وينتهي عند ساباط باشا آغا.
سوق الصباغين	يبدأ من حيث ينتهي سوق السراجين، ومنه ينقسم الشارع الرئيسي إلى قسمين، شمالي وجنوبي، وفي الأول يوجد السوق.
سوق الصاغة	يقع في طريق ثانوي يربط بين سوق التجار وسوق الغزل.
سوق الحدادين	يقع بالقرب من سوق الصاغة، في الاتجاه الشمالي للشارع الرئيسي، كما ينحصر في زنقة سيدي ضرار وحمام جلول، ويقابل سوق الخلق في جهته الجنوبية.
سوق القصاعين	يقابل هذا السوق جانبا من سوق الحدادين وسوق القزازين، وهو يقع على نفس الشارع والاتجاه مع سوق الخلق، ويستمر في الجهة الجنوبية للشارع ليقابل جزءا منه السوق الكبير حيث يقع جامع الأخضر.
سوق البرادعيين	وهو يلي سوق الغرابليين، إلا أنه يحتل طريقا فرعيا يتجه غربا ليربط بين شطري الشارع الرئيسي.
سوق الخضارين	يلي سوق البرادعيين وعلى نفس الطريق الفرعي لينتهي عند سوق الجزارين.
سوق القصابين	يقع على نفس الطريق الفرعي الذي يقع فيه سوق الخضارين، لينتهي عند سوق القصاعين حيث يوجد الجامع الأخضر والسوق الكبير.
سوق الخراطين	يقع في الجزء الجنوبي للشارع الرئيسي، ويبدأ من أمام فندق الزيت، لينتهي عند سوق النجارين.
سوق النجارين	يقع في نفس الشارع الذي يوجد به سوق الخراطين، لينتهي عند طريق فرعي يتجه إلى الغرب متعامدا مع الشارع الرئيسي.

اسم السوق	مكان وجوده في المدينة
سوق الرقاقين	يقع بعد سوق النجارين في الجزء الجنوبي من الشارع الرئيسي، ويستمر إلى غاية حي ميلة الصغيرة.
سوق الدباغين	خارج أسوار المدينة.
سوق الصفارين	يقع شرقي الحمام الصغير.
سوق الكمادين	يقع بالقرب من سوق الخلق.
سوق الزياتين	يقع بالقرب من سوق الخضارين.
سوق الدهانين	يقع أعلى سوق الغزل.
سوق الحلفاءيين	يقع بالقرب من سوق النجارين.
سوق الحطابين	يقع هذا السوق بحي رؤوس الدوامس. ³⁵
سوق الخرازين	يقع بالقرب من سوق الغرابليين.
سوق المتوسين	/
سوق القطاعين	/
سوق القطاظين	يقع أسفل سوق الغزل في الصف الشرقي منه.
سوق القلالين	/
سوق القطانين	/
سوق القشاشين	/
سوق السردانين	/
سوق السكاجين	/
سوق السمادين	/
سوق الشكازين	/
سوق الشواشين	/
سوق الفوالين	/
سوق الحجامين	/
سوق الشكارين	يقع في باب الواد.
سوق الحاكة	/
سوق القضاخين	/
سوق الغرابليين	بالقرب من سوق الخرازيين.
سوق الفخارين	/

الختامة

طبقا للشروط العمرانية المتعارف عليها في تأسيس المدن الإسلامية، التي نصها كل من المؤرخين والجغرافيين ومنها التي تنص على انشاء سوق للمدينة ليعتبر كفضاء فسيح لمختلف النشاطات سواء تجارية أو لممارسة حرفة معينة، تنوعت بذلك الأسواق في مدينة قسنطينة، فحسب ماجاء في مخطوط دفتر الأحباس تبين أنها تشتمل على 17 سوقا عامة منها سوق الخلق والسوق الكبير وسوق رحبة الصوف... وغيرها، و38 سوقا حرفية متخصصة كسوق العطارين والحدادين والسراجين...، تتوزع على طول الشارع الرئيسي الرابط بين باب الواد وباب القنطرة ليمركز أغلبها في سوق التجار، وقد خضعت جميع هذه الأسواق إلى تنظيم محكم يصب في مصلحة الناس عامة ويبعد الضرر عنهم، كما أن له أبعاد عمرانية، إجتماعية واقتصادية.

الهوامش والاحالات:

- ¹ عبد القادر دحدوح، مخطوط أوقاف مدينة قسنطينة القرن (10-11هـ/16-17م)، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر قسنطينة عاصمة الثقافة العربية، 2015، ص 5-10.
- ² الخزاعي التلمساني أبو الحسن بن محمد، الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف والصنائع والعمالات الشرعية، ج1، ط2، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1419 هـ، ص 774.
- ³ الفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، حققه أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، القاهرة، دار الحديث، 2008، ص352.
- ⁴ ابن منظور محمد بن جلال الدين مكرم، لسان العرب، ج9، ط1، بيروت، (د.ن)، 1300هـ، ص43.
- ⁵ هم رجال المخزن أو أعضاء الحكومة الذين يحيطون بالباي، ويشاركونه في إدارة البايلك، كالخليفة، وقايد الدار، وباش شاوش وغيرهم، أنظر محمد صالح العنتري، تاريخ قسنطينة، مراجعة وتحقيق يحي بوعزيز، الجزائر، علم المعرفة، 2009، ص22.
- ⁶ عائشة غطاس، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر (1700-1830م) مقارنة اجتماعية-اقتصادية، الجزائر، منشورات ANEP، 2012، ص105.
- ⁷ عائشة غطاس، المرجع السابق، 105.
- ⁸ ابن منظور، المصدر السابق، ج8، ص208.
- ⁹ الفيروزآبادي، المصدر السابق، ص 951.

- القاسمي محمد سعيد، قاموس الصناعات الشامية، ج1، حقق وقدمه ظافر القاسمي، باريس، 1960، ص 12.
- ¹⁰ الخزاعي التلمساني، المصدر السابق، ص776.
- ¹¹ القاسمي محمد سعيد، المصدر السابق، ص، 13.
- ¹² حماد نزيه، معجم المصطلحات المالية والاقتصادية في لغة الفقهاء، ط1، دار القلم دمشق، 2008، ص 382.
- ¹³ حماد نزيه، المرجع السابق، ص 283.
- ¹⁴ سميحة ديفل، الصناعات التطبيقية في المغرب الأوسط من القرن (4هـ - 10م/9هـ - 15م) دراسة أثرية فنية، أطروحة دكتوراه في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، (2013/2014)، ص 60.
- ¹⁵ ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، ج1، دار الفكر، بيروت لبنان، 2001، ص501.
- ¹⁶ القاسمي محمد سعيد، المرجع السابق، ص 13.
- ¹⁷ الإيالة: اصطلاح إداري ظهر في العهد العثماني قبل الغاء الانكشارية، ويقصد به الولاية، وكانت الدولة العثمانية مقسمة إداريا إلى عدة إيالات ومن بينها إيالة الجزائر التي كانت تابعة لها سنة (1517-1830م)، كما تتكون الإيالة من مدن وقرى، وموانئ، وأرياف. أنظر: -سبيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، الرياض، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، 2000، ص 45. - حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، 2005، ص13. - عبد اللطيف بوجلخة، الدولة العثمانية، دار المعرفة، الجزائر، 2005، ص66.
- ¹⁸ ولد صالح باي في مدينة أزمير بتركيا، من أب تركي عام (1150هـ-1739م)، ثم هجر إلى الجزائر سنة (1166هـ-1755م) بسبب مقتله لأحد أقربائه عن طريق الخطاء، اشتغل في إحدى المقاهي بمدينة الجزائر، تعرف بعدها على الكثير من الأتراك في مجلس الأوجاق، مما مكنه من الالتحاق بفرقة الميليشيا العسكرية، ثم أرسل إلى مدينة قسنطينة لدعم الفرقة التركية هناك، فبرزت قوته وشجاعته وشخصيته واشترك في حملة الباي زرق عينو ضد تونس وأبدى مقدرته وشجاعته في الحرب أثارت انتباه أحمد القلي، فقربه إليه وزوجه من ابنته، وعندما توفي خليفة الباي في قسنطينة استدعاه صهره أحمد القلي، وعينه خليفة سنة (1177هـ-1765) لمدة ستة سنوات، وفي سنة (1183هـ-1771م) توفي أحمد القلي فعين مكانه على رأس البايك واستمر في منصبه قرابة ربع قرن إلى غاية (1205هـ-1792م). أنظر: محمد صالح بن العننري، تاريخ قسنطينة....، ص62.
- ¹⁹ البايك: كلمة تركية تعني اللواء، أو المقاطعة، ولم تعرف بها منطقة الشرق الجزائري إلا في العهد العثماني. أنظر: معاشي جميلة، الأسر الحاكمة في بايليك الشرق الجزائري (ق10هـ-13هـ/16-19م)، ديوان المطبوعات الجزائرية، ص02.

- ²⁰ ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 2000، ص 249.
- ²¹ صرهودة يوسف، معاملات ومبادلات اقتصادية في قسنطينة أواخر العهد العثماني، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة الأمير عبد القادر، قسنطينة، 2004-2005، ص 67.
- ²² Feraud.(SH), «Les Corporations de métiers à Constantine avant la conquête française, traduction d' un manuscrit Arabe», IN. *Revue Africaine*, N°16, 1872. P.453.
- ²³ ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية...، ص 72.
- ²⁴ التزيينات عبارة عن منشآت مربعة الشكل صغيرة الحجم تكون متلاصقة فيما بينها وتختص في تجارة معينة، ونجد في الأسواق وأماكن التبادل التجاري. -أنظر عاصم محمد رزق، معجم المصطلحات والفنون، مكتبة مدبولي للنشر، ط1، 2000، ص 48.
- ²⁵ ابن أبي الربيع شهاب الدين أحمد بن محمد، سلوك المالك في تدبير الممالك، حققه ونشره عبد العزيز بن فهد، الرياض، دار العذرية للنشر، (1416هـ - 2010م)، ص 154.
- ²⁶ البكري أبو عبيد الله، المسالك والممالك، ج2، حققه: أدريان فان ليفن وأندري فيري، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1992، ص 729.
- ²⁷ حسن الوزان محمد الفاسي، وصف إفريقيا، ج2، ط2، بيروت، دار الغرب الإسلامي، 1983، ص 56.
- ²⁸ محمد عبد الستار عثمان، « نصائح الحكام المسلمين في مجال العمران وتخطيط المدن في ضوء المصادر العربية الإسلامية لتاريخ الاجتماع السياسي»، (د.ت)، (د.ن)، ص 19، 20.
- ²⁹ زهية بن كردرة، أسواق مدينة الجزائر من الفتح الإسلامي إلى العهد العثماني من خلال المصادر، دراسة تحليلية، رسالة لنيل الماجستير في الآثار الإسلامية، معهد الآثار، جامعة الجزائر 02، (1999-2000)، ص 92.
- ³⁰ خلود جمال المومني، المدن الإسلامية الأولى (632-1258م)، رسالة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الآثار، الجامعة الأردنية، 1999، ص 91.
- ³¹ مخطوط دفتر الأحباس، ص 18.
- ³² (فندلين) شلوصر، قسنطينة أيام أحمد باي، (1832-1837)، ترجمة أبو العيد دودو، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 74.
- ³³ (عبد الكريم) الفكون، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تحقيق الدكتور أبو قاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1408-1987، ص 158.
- ³⁴ (عبد القادر) دحدوح، المرجع السابق، ص 396.
- ³⁵ دفتر الاحباس، ص 14 .